

# موقف من يونس بن حبيب

للدكتور محمود حسني محمود

( الجامعة الأردنية )

- ١ -

هو (١) أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب النحوي البصري. يكاد أغلب الذين ترجموا له أن يتفقوا على أنه واحد من الموالى العرب ، ولكنهم حاروا في من كان مولاه ، فقيل (٢) أنهم بنو ضبة ؛ وقيل (٣) بنو ليث بن بكر ، وقيل (٤) بلال بن هرمي، من بني ضبيعة بن بجالة . أما صاحب « معجم الأدباء فقد رأى أنه ضبي نسباً صريحاً ، ولكنه عاد وروى أنه مولى بني ليث ؛ قال (٥) : « أبو عبد الرحمن الضبي وقيل اللبثي بالولاء » . وكان نسب يونس يحترّ أبا الحسن الخزاز، الذي لم يستطع أن يتحقق من الأمر، فكان يقول (٦) : « لا أدري هو مولى أم لا » . وفي جميع الأحوال فإن يونس يبقى عربي الأصل . ولم يذهب أحد إلى أنه غير ذلك سوى صاحب «مفاخر.

---

١ - طبقات المفسرين : ج ٢ / ٢٨٥ . بغية الوعاة : ج ٢ / ٣٦٥ . انباه الرواة : ج ٤ / ٦٨ .

٢ - وفيات الاعيان : ج ٧ / ٢٤٤ . الفهرست : ص ٧٩ . انباه الرواة : ج ٤ / ٦٨ .

٣ - وفيات الاعيان : ج ٧ / ٢٤٤ . معجم الادباء ج ٢ / ٦٤ . الفهرست : ص ٧٩ .

٤ - وفيات الاعيان ج ٧ / ٢٤٤ .

٥ - ج ٢٠ / ٦٤ .

٦ - الفهرست : ص ٧٩ .

العجم « الذي ادعى (٧) انه اعجمي الاصل ، مفتخرا بذلك ، توهما (٨) منه انه من اهل الجبل، بينما هو في الحقيقة من مواليد جبل (٩) : القرية الواقعة (١٠) بين النعمانية وواسط ، ولعل لفظ « جبل » هو الذي اوهمه انه من اهل الجبل .

وقد قدر الله ليونس أن يعيش عمرا مديدا ، اختلفت الروايات (١١) في تقديره ، وتراوح فيها بين ٧٨ سنة الى ١٠٢ من السنين ، ولكن الأغلب انه عاش ٨٨ عاما ، أو قريبا منها ، وأنه توفي سنة ١٨٢ هـ .

ويبدو انه فرغ حياته تماما من أجل العلم ، ولم تشغله شواغل الدنيا « فلم (١٢) يَتَسَّرَ ، ولم يفزج » ، و « (١٣) لم تكن له همة الا طلب العلم، ومحادثه الرجال » ولعل عدم انشغاله بشيء غير العلم يسر عليه جهدا في امتلاك حصيلته العلمية التي وصل اليها ، وامكنه من الحفاظ عليها حتى قبل فيه قول ظريف : « (١٤) مثل يونس كمثّل كوز ضيق الراس ، لا يدخله

٧ - الفهرست : ص ٧٩ .

٨ - تاريخ الادب العربي (بروكلمان) : ج ٢ / ١٣٠ .

٩ - وفيات الاعيان ج ٧ / ٢٤٤ . انباه الرواة : ج ٤ / ٦٨ .

١٠ - معجم البلدان : ج ٢ / ١٠٢ . قال ياقوت : « بلدة بين النعمانية وواسط في الجانب الشرقي كانت مدينة واما الآن فاني رايتها مرارا وهي قرية كبيرة ، قال البحزري : لنن اوحشتي جبل وخصاصها لما انستني واسط وقصورها » .

١١ - ولعل اصحها تلك التي وردت على لسان الجاحظ في حديثه للمبرد، وتفيد بان يونس توفي سنة ١٨٢ هـ وهو ابن ثمان وثمانين (مراتب النحويين ص ٢١ وانظر الحيوان ج ٥ / ٥٩١) . وهذه الرواية تتطابق مع ما ورد على لسان اسحق بن ابراهيم الموصلي في الفهرست ص ٧٩ .

اما في : البداية والنهاية : ج ١٨٤ / ١٠ . فقد ورد انه توفي عن ٧٨ سنة . وفي طبقات المفسرين ج ٢ / ٢٨٦ وبغية الوعاة : ج ٢ / ٣٦٥ توفي عن تسعين . وفي احمدى روايات الانباء : ج ٤ / ٧١ انه جاوز المائة .

١٢ - انباه الرواة : ج ٤ / ٧١ . طبقات المفسرين : ج ٢ / ٢٨٦ . بغية الوعاة : ج ٢ / ٣٦٥ .

١٣ - الفهرست : ص ٧٩ . وفيات الاعيان : ج ٧ / ٢٤٥ . انباه الرواة : ج ٤ / ٧١ .

١٤ - طبقات النحويين والمفسرين : ص ٥١ . انباه الرواة : ج ٤ / ٦٨ .

شيء إلا بعسر ، فإذا دخله لم يخرج منه « أي لا ينسى . وبقي يونس يفيد من علمه الى أن (١٥) « تفرغ من الكبر »، إذ وصل عمراً لا احد يرجو أن يصل اليه ، فقد « (١٦) دخل المسجد يوماً وهو يهادي بين اثنين من الكبر ، فقال له رجل كان يتهمه على مودته : بلغت ما أرى يا أبا عبد الرحمن ، قال : هو الذي ترى ، فلا بلِّغته . »

وكان يونس ذا نظرة تأملية ، وصاحب رأي في بعض الجوانب الحياتية ، فكان يقول : « (١٧) ثلاثة والله أشتهي أن أمكن من مناظرتهم يوم القيامة : آدم، عليه السلام، فأقول له : قد مكّنك الله من الجنة وحرم عليك شجرة ، فقصدت لها حتى التفتنا في هذا المكروه ؟ . ويوسف، عليه السلام، أقول له : كنت بمصر ، وأبوك عليه السلام بكنعان ، بينك وبينه عشر مراحل ، يبكي عليك ، لم لم ترسل اليه : إني في عافية ، وتريحه مما كان فيه من الحزن ؟

وطلحة والزبير أقول لهما : عليّ بن أبي طالب، عليه السلام، بايعتماه بالمدينة ، وخلعتماه بالعراق ، لم ؟ أي شيء أحدث ؟ »

وللشباب والاحباء عنده مكانة غالية حين يقول (١٨) :

شيطان لو بكت الدماء عليهما      عيناى حتى يؤذنا بذهاب  
لم يلبغا المعشار من حقيهما؛      شرح الشباب وفرقة الاحباب

وللعلم عنده مكانة لا تدانيها مكانة ، فكان يقول : « (١٩) إن علمك

١٥ - القهرست : ص ٧٩ . انباه الرواة : ج ٧١/٤ .

١٦ - مراتب النحويين : ص ٢١ . انباه الرواة : ج ٦٨ / ٤ .

١٧ - اخبار النحويين البصريين : ص ٢٩ .

١٨ - شذرات الذهب : ج ٣٠١/١ .

١٩ - الحيوان : ج ٦١/١ .

من روحك ، ومالك من بدنك ، فضعه منك بمكان الروح ، وضع مالك بمكان البدن » .

تُشَفُّ يونس ثقافة واسعة تمثّل ثقافة عصره ؛ وكان متجلبيا في اكثر من علم واحد : فهو عالم بالانساب ، يُضْرَبُ به المثل في الدراية بهذا العلم والتمكّن منه • قال الجاحظ في حديثه عن الحمام : « (٢٠) ووصف الهذيل المازني مثنى بن زهير وحفظه لانساب الحمام ، فقال : « والله لهو انسب من سعيد بن المسيب وقتادة بن دعامة للناس ، بل هو انسب من ابي بكر الصّدّيق رضي الله عنه ! لقد دخلت على رجل اعرف بالامهات المنجيات من سُحيم بن حفص ، واعرف بما دخلها من الهُجّة والإقتراف من يونس بن حبيب » .

وهو قصّاص من اولئك الذين كان الناس يتحلّقون حولهم في المساجد ويستمعون الى ما يروونه من احاديث واخبار • ويبدو أن الموضوع الذي كان يدور حوله القصّاص — كما يبدو من خلال ذكر (٢١) الجاحظ لهم — هو تفسير آيات القرآن الكريم ، فبرع يونس بين المفسرين ، (٢٢) وتُرجم له في طبقاتهم ، ولا سيما وقد الف كتابا اسماه « (٢٣) معاني القرآن » • ولعل يونس في تأليفه هذا الكتاب هو الذي اوحى الى تلامذته : ابي

---

٢٠ — الحيوان : ج ٢ / ٢١٠ .

٢١ — انظر البيان والتبيين : ج ١ / ١٩٢ — ١٩٤ .

٢٢ — انظر : طبقات المفسرين : ج ٢ / ٢٨٥ — ٢٨٦ .

٢٣ — انظر : الفهرست : ص ٧٩ . وقد خلط صاحب معجم الادباء ( ج ٢٠ / ٦٧ ) بين معاني

القرآن و « النوادر » فذكره باسم « معاني القرآن الكبير » « معاني القرآن الصغير »

مع ان كتاب المعاني كتاب واحد ، اما النوادر فالف فيها كتابين : الكبير والصغير كما

سرد فيها بعد .

عبيدة (٢٤) والكسائي (٢٥) والأخفش (٢٦) والفراء (٢٧) أن يسلكوا مسلكه ويؤلفوا كتباً في الموضوع نفسه تحمل اسم الكتاب الذي ألفه . وله آراء (٢٨) تفسيرية تناقلتها الكتب بعده .

وهو ناقد أدبي مؤهل بكل متطلبات النقد ، كان «٢٩» عالماً بالشعر ، نافذ البصر في تمييز جيده من رديئه ، عارفاً بطبقات شعراء العرب ، حافظاً لانسابهم « ، مرجعاً لمن كان الأدب يشكل جزءاً من تفكيرهم وهمومهم ؛ قدم (٣٠) عليه جعفر بن العباس من عند الخليفة المهدي وقال له : أنا وأمرؤنمنا اختلفنا في هذا البيت :

والشيبُ ينهض في السواد كأنه ليل يصيح بجانيبه نهار  
فما الليل والنهار ؟ فقال يونس : الليل ، الليل الذي تعرف  
والنهار . النهار الذي تعرف ، فقال جعفر : زعم المهدي أن الليل فرخ  
الكروان ، والنهار فرخ الحباري . فقال أبو عبيدة في البيت ما قاله يونس .  
والذي تاله المهدي معروف في الغريب من اللغة .

وكان الشعراء يذهبون إليه يستأنسون برأيه ، قبل أن يذيعوا أشعارهم للناس ؛ حتى أن بعضهم كان يتخذ من رأيه القول الفصل ، فأما أن يظهر شعره وأما أن يلتفت إليه ه قدم (٣١) عليه مروان بن

٢٤ - انظر انباه الرواة ج ٢ / ٢٥٦ .

٢٥ - انظر نزهة الالباء ص ٦٠ .

٢٦ - انظر انباه الرواة ج ٢ / ٤٢ .

٢٧ - انظر : نزهة الالباء ص ٨١ .

٢٨ - انظر : الحيوان ج ٥ / ٢٤٠ ، وطبقات فحول الشعراء ص ٥٤ ( مطبعة  
المدني - القاهرة - ١٩٧٤ ) .

٢٩ - معجم الالباء ٦٤ / ٢٠ .

- وفيات الاعيان ٢٤٧ / ٧ .

٣١ - المؤشع ص ٥٠ معجم الالباء ج ٢٠ / ٦٦ .

أبي حفصة ، وقال له : لقد قلت شعرا اعرضه عليك ، فإن كان جيدا أظهرته ،  
وإن كان رديئا سترته ، وأنشده :

طرقتك زائرة فحيّ خيالها

قال : فقال له : يا هذا ، اذهب فأظهر هذا الشعر ، فأنت والله  
فيه أشعر من الأعشى ، يريد في قوله ( ٣٢ ) :

رحلت سمية غدوة أجمالها

فقال له مروان : قد سؤتي وسررتني ، فأما الذي سررتني به  
فلإرتضائك الشعر ، وأما الذي سؤتي به فلتقديبك إياي على الأعشى ،  
قال : نعم ، إن الأعشى قال :

فرميت غفلة عينه عن شاته فاصبت حبة قلبها وطحالها .  
والطحال لا يدخل في شيء الا أفسده ، وأنت لم تقل ذلك .

وكان يستطيع ان يميز رواية الشعر صدقتها من كذبها ؛ فقد روي ( ٣٣ )  
لأبي عمرو بن العلاء — بحضور يونس وأبي عبيدة — أن الوليد بن عبد الملك  
لام العجاج لقوله شعراً في عمر بن عبيد الله بن معمر أفضل من ذلك الذي  
قاله فيه ، فقال يونس لأبي عبيدة بعد سماع الرواية : أتصدق بهذا ؟ ما  
كان من هذا شيء قط ، ولا كان الوليد يحسنه ؛ قال عمر بن شبة : ولا  
أحسب يونس الا قد صدق ؛ كان الوليد لحانا ، وكان عبد الملك يعتذر من  
ذلك ، ويقول : « شغلنا حب الوليد عن تأديبه ، لكن هذا سليمان فاسأله  
عما شئتم » .

وكان الشعراء يحفلون بقوله وبينون عليه شعراً ، فقد ( ٣٤ ) بنى

٣٢ — ديوان الأعشى ص ٢٧ قصيدة رقم ٢ .

٣٣ — الموشح ص ١٩٦ .

٣٤ — سوفيات الاعيان ج ٧ / ٢٤٦ .

منصور النمرى على قول يونس : « ما بكت العرب على شيء في أشعارها  
كبكائها على الشباب ، وما بلغت كنهه » ؛ فقال من جملة قصيدة يمدح  
بها هارون الرشيد :

ما كنت أوفي شبابي كنه غرته حتى انقضى فاذا الدنيا له تباع  
وليونس قول ذائع يدل على دقة حكمه ومعرفته بطبيعة الشعر ، وما  
ينحكم في جودته ؛ فقد سأله ابن سلام عن أشعر الناس ، فقال : « ( ٣٤ ) لا  
أومىء الى رجل بعينه ولكني أقول : امرؤ القيس اذا ركب ، والنابعة اذا  
رهب ، وزهير اذا رغب ، والاعشى اذا طرب » . وكان يقول عن الشعر :  
« ( ٣٥ ) انه كالسراة والشجاعة والجمال ، لا ينتهي فيه الى غاية » .

وكان للشعراء عنده مكانة عالية ، وعلاقة وثيقة ؛ ولعل أمتن هذه  
العلاقات تلك التي كانت بينه وبين العجاج ورؤية ، حتى أنها كانا عنده  
« ( ٣٦ ) أشعر أهل الصيد » . وقد « اختص بالرواية عن رؤية  
وتعصب له » ؛ وكان يهب للدفاع عنه اذا ما حاول أحد أن ينال منه ؛  
فهذا ( ٣٨ ) شُبَيْل بن عذرة يدخل على أبي عمرو بن العلاء - يونس حاضر  
- فيبدي استغرابه من أن رؤية لا يعرف اشتقاق اسمه ، فيثب يونس ،  
ثم يجلس بين يدي شبيل ويقول له : « لك تظن ان معد بن عدنان كان افسح  
من رؤية ؟ فانا غلام رؤية . فما الرؤية والرؤية والرؤية والرؤية ؟

٢٤ - معجم الادباء ج ٢٥/٦٥ ، خزنة الألب ج ١/١٧٥ .

٢٥ - طبقات محول الشعراء ص ٦٦ ( مطبعة المدني - القاهرة ١٩٧٤ ) .

٢٦ - خزنة الألب ج ١/٩٠ .

٢٧ - الرواية والاستشهاد باللغة ص ١١ .

٢٨ - مراتب النحويين ص ٢٢ . خزنة الانب ج ١/٩٠ .

كان شبيل بن عذرة راوية نسابا عالما بالفريب ، وكان شاعرا ، تشيع سبعين سنة ثم  
صار بعد ذلك خارجيا ويكنى ابا عمرو ، مات بالبصرة . انظر مراتب النحويين ص ٢٢ .

( الخامسة مهوزة فقط ) ، فاذا بشبيل يفضب ويقوم ، واذا بأبي عمرو ينكر على يونس تصرفه مع رجل شريف تصد مجلسه ؛ فيعتذر يونس قائلا : ما تمالكت اذ ذكر روبة ان قلت ما قلت .

غير ان شهرة يونس تأتي من علمه باللغة والنحو ، إذ ( ٣٩ ) « كان اغلب عليه » يعرف به فيقال ( ٤٠ ) « يونس النحوي » تمييزاً له عن غيره ممن عرفوا بهذا الاسم • وقد سمع ( ٤١ ) اللغة عن العرب ، شأنه شأن أوائل النحاة الذين كانوا يستقون المادة النحوية من أفواه الاعراب في البادية ؛ وألف ( ٤٢ ) في اللغة كتاب « اللغات » و « النوادير الكبرى » و « النوادير الصغرى » و « الامثال » .

أما النحو فأخذه عن مجموعة أولهم ( ٤٣ ) حماد ابن سلمة ، مع أنه كان اسن ( ٤٤ ) منه ، وكان يونس يفضلهُ ( ٤٥ ) ؛ ولكن اكثرهم تأثيراً فيه ابا عمرو بن العلاء الذي يبدو أنه كان ملازماً اياه ، يكتب له حتى عدّ من كتّابه ( ٤٦ ) . واثر ابي عمرو في علم يونس ظاهر في ميدان الشعر ، والرواية ، والنقد ، واللغة والنحو ؛ وكان يونس يجلّ استاذه ويحترم رأيه قائلاً : « ( ٤٧ ) لو كان احد ينبغي ان يؤخذ بقوله كله في شيء واحد ، كان ينبغي لقول ابي عمرو بن العلاء في المرنية ان يؤخذ كله ، ولكن ليس احد الا وانت آخذ من قوله وتارك » .

٣٩ - مراتب النحويين ص ٢١ .

٤٠ - انظر : وفيات الاعيان ج ٢٤٤/٧ ، خزائن الادب ج ٩٠/١ . شذرات السذهب ج ٣٠١/١ .

٤١ - اخبار النحويين ص ٢٧ .

٤٢ - انظر : الفهرست ص ٧٩ .

٤٣ - طبقات النحويين واللغويين ص ٥١ .

٤٤ - نزهة الالباء : ص ٤٢ .

٤٥ - المصدر نفسه ص ٤٣ .

٤٦ - اخبار النحويين البصريين ص ٢٧ .

٤٧ - طبقات فحول الشعراء ص ١٦ ( المدني - القاهرة ١٩٧٤ م ) وانظر : نزهة الالباء ص ٣١ .

وقد شاهد يونس مرحلة متطورة في ميدان النحو ، توضحت فيها أسس النحو ، وثبتت فيما بعد في كتاب سيبويه \* وتعد هذه المرحلة قفزة واسعة اذا ما قيست بتلك التي شهدها ابن ابي اسحق \* سئل (٤٨) يونس عن ابن ابي اسحق وعلمه فقال : هو والبحر سواء ؛ اي هو الغاية . قال : فأين علمه من علم الناس اليوم ، لو لم يكن في الناس اليوم احد لا يعلم الا علمه يومئذ لضحك منه ، ولو كان فيهم من له ذهنه ونفاذه ، ونظر نظره لكان أعلم الناس .

وقد أسهم يونس في تطور النحو مساهمة فعالة ، وكان له شخصيته الواضحة وأثره البين حتى قيل : « (٤٩) له قياس في النحو ومذاهب يتفرد بها » . وقد خصص معظم حياته للتدريس ، فكان لسه بالبصرة حلقة (٥٠) ينتابها طلاب العلم وأهل الأدب ، وفصحاء الأعراب ، ووفود البادية ؛ ودرس عليه علماء مشاهير سنوات طويلة \* فاختلف (٥١) اليه ابو عبيدة أربعين سنة ، وأبو زيد عشر سنين ، وخلف الأحمر عشرين سنة ، وأخذ عنه قطرب ، (٥٢) ومحمد (٥٣) بن سلام الجمحي ، والكسائي ، والفراء .

ويكفيه ان سيبويه أخذ عنه فأكثر (٥٤) ، ونقل عنه نقولا صدق فيها

٤٨ - طبقات النحويين واللغويين ص ٣١ .

٤٩ - اخبار النحويين البصريين ص ٢٧ وانظر انباه الرواة : ٧٠/٤ .

٥٠ - انظر : الفهرست ص ٧٩ ، وانباه الرواة : ج ٧٠/٤ .

٥١ - رفيات الاعيان : ج ٢٤٥/٧ . معجم الانباء : ج ٦٥/٢٠ . انباه الرواة : ج ٧١/٤ .  
شذرات الذهب : ج ٢٠١/١ .

٥٢ - انظر : مراتب النحويين ص ٦٧ .

٥٣ - انظر : مراتب النحويين ص ٦٧ .

٥٤ - اخبار النحويين البصريين : ص ٢٧ . انباه الرواة : ج ٧٠ / ٤ ، طبقات المفسرين  
ج ٢٨٦/٢ .

جميعا ، وشهد يونس على صدقتها شهادة رفعت من ذكر سيبويه وكتابه ،  
فقد (٥٥) قال حين ذكر سيبويه عنده : اظن هذا الغلام يكذب على الخليل ،  
فتيل له : قد روى عنك أشياء كثيرة ، فانظر فيها ، فانظر فيها ، فقال :  
صدق في جميع ما قال ، هو قولي .

وقد ذكر سيبويه يونسَ وروى عنه في نحو ٢٠٠ موضع (٥٦) من  
مواضع الكتاب، بحيث كان يتكرر (٥٧) اسمه في الصفحة الواحدة أحيانا أكثر  
من مرة واحدة .

وقد روى يونس في الكتاب لغة كثيرة عن العرب ، وكان مفتاح رواياته  
عنهم يختلف من رواية الى اخرى ، فكان يفتح روايته بـ (٥٨) « أن قوما من  
العرب ... » ، (٥٩) « أن ناسا يقولون ... » ، (٦٠) « أن ناسا من  
العرب ... » ، (٦١) « أن بعض العرب الموثوق بهم ... » ، (٦٢) « أن بعض  
العرب ... » ، (٦٣) « أن قوما ... » ، (٦٤) « أن العرب  
تقول ... » ، (٦٥) « أنه سمع أعرابيا ... » ، (٦٦) « أنه سمع

---

٥٥ - اخبار النحويين البصريين : ص ٢٧ .

٥٦ - انظر : سيبويه امام النحاة : ص ٩٠ .

٥٧ - انظر : كتاب سيبويه ج ١/٤٢٨ ذكر أربع مرات ، وج ٢/٤١٠، ٤١١ ، وانظر :  
ج ٢ / ١٩٧ ، ٣٠٤ ، ٣١٢ ، ٣٤٧ ، ٣٦١ ، ٤٤٢ ، ٦٢٢ .

٥٨ - انظر : الكتاب ج ١/٢٨٩ .

٥٩ - الكتاب ج ١/٤١٦ ، ج ٢/٤١٠ .

٦٠ - انظر : الكتاب : ج ٢/٢٧ ، ١١٢ ، ج ٢/٢٤٤ .

٦١ - انظر : الكتاب : ج ٢/٢٣٧ .

٦٢ - انظر : الكتاب : ج ٢/٢١٣ .

٦٣ - الكتاب ج ٢/١١٩ .

٦٤ - الكتاب ج ٢/١٤٢ ، ج ٢/٤٢٥ .

٦٥ - الكتاب ج ٢/٤١١ .

٦٦ - الكتاب ج ٢ / ١٢٥ .

العرب ... » (٦٧) « أن من العرب من يقول ... » .

وقد روى عن رؤية (٦٨) من الشعراء ، والفـرزـدق (٦٩) ،  
وجـرير (٧٠) ، والأسود (٧١) بن يعفر . وروى عن أبي عمرو بن  
العلاء، وكان طريق سيبويه إليه ، وروى عن ابن (٧٣) أبي اسحق .  
وتأتي شخصيته النحوية من خلال الكتاب في الدرجة الثانية (٧٤) بعد  
شخصية الخليل ، وكثيرا ما كان يتترن اسماهما في رواية أو رأي . ومما  
يذت النظر في رواية سيبويه عنهما ، حين ذكرهما معا ، انه كان يترحم  
عليهما اذا سبق ذكر يونس ذكر الخليل ، أما اذا سبق ذكر الخليل يونس  
ترحم على الخليل وحده ، ثم أتبع الترحم عليه ذكر يونس، فهو يقول في  
الموضع الأول مثلا : (٧٥) « وزعم يونس والخليل، رحمهما الله، أن الدرهم  
ليست نكرة » ، (٧٦) « ولم يجز يونس والخليل — رحمهما الله — كما غلما  
لك » ، (٧٧) « هذا قول يونس والخليل رحمهما الله » . وفي الثاني  
يقول مثلا : (٧٨) « واذا لم تلحق الالف قلت، وازيد، إذا لم تضاف ، ووازيد،

---

٦٧ — الكتاب ج ١ / ٢٦٢ ، ج ٢ / ٦٥ .

٦٨ — انظر الكتاب : ج ١ / ٥١ ، ج ٢ / ١٥٣ ، ج ٣ / ٢٠٤ ، ٥٦٥ .

٦٩ — انظر الكتاب ج ٢ / ٧٢ .

٧٠ — انظر الكتاب : ج ١ / ٢٧٨ .

٧١ — انظر الكتاب : ج ٣ / ١٢٥ .

٧٢ — انظر الكتاب : ج ١ / ٢٨٧ ، ج ٢ / ١١٣ ، ١٨٥ ، ٣٩٩ ، ٣١٩ ، ج ٢ / ١٠١ ، ٢٤٢٤ ،

٢٩٣ ، ٣٠٣ ، ٢٤٧ ، ٣٦١ ، ٤٥٧ ، ٥٦٦ .

٧٣ — انظر الكتاب : ج ٣ / ٢٤٢ .

٧٤ — كتاب سيبويه وشروحه ص ٣١ .

٧٥ — الكتاب : ج ١ / ٤٢٨ .

٧٦ — الكتاب : ج ٢ / ١٥٩ .

٧٧ — الكتاب : ج ٢ / ٣٢٨ .

٧٨ — الكتاب : ج ٢ / ٢٢١ .

إذا أضفت ، وان شئت قلت وأزيدي، واللاحق وغير اللاحق عربي فيما زعم الخليل رحمه الله ويونس . وفي باب النذبة (٧٩) « ذلك قولك: وأرجلاه، ويا رجلاه، وزعم الخليل، رحمه الله، ويونس أنه قبيح وأنه لا يقال » . ويقول: (٨٠) « زعم الخليل — رحمه الله — ويونس جميعا أنه يجوز، ما أتاني غير زيد وعمر » . وفي اعراب الضمير بعد لولا: (٨١) « وهذا قول الخليل رحمه الله ويونس » . ولعل ما سلكه سيبويه ازاء الخليل ويونس يذكرني بالاعرابي الذي صلى خلف النبي صلى الله عليه وسلم، ثم دعا الله قائلا: (٨٢) « اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا » فدهش النبي وقال له: « لقد ضيقتُ واسعا » .

ومفاتيح رواية سيبويه عن يونس كثيرة منها: (٨٣) « حدثنا يونس . . . » ، (٨٤) « أخبرنا يونس . . . » ، (٨٦) « أنشدنا يونس . . . » وفي أغلب الروايات: (٨٧) « زعم يونس . . . » ، (٨٨) « وأما يونس فيقول . . . » ، (٨٩) « وهذا قول يونس . . . » ونقل سيبويه عنه أبوابا كاملة في النحو والصرف، إما عنه (٩٠) وحده، وإما عنه وعن الخليل (٩١)

- 
- ٧٩ — الكتاب: ج ٢/٢٢٧ .  
 ٨٠ — الكتاب: ج ٢/٢٤٤ .  
 ٨١ — الكتاب: ج ٢/٢٧٢ .  
 ٨٢ — بطل الإبطال ص ٦١ .  
 ٨٣ — انظر: الكتاب: ج ١/١٥٥ ، ٤٠٩ — ج ٢/٢٥٥ ، ٣٦١ ، ٤١٠ — ج ٢/٢٢٧ .  
 ٨٤ — انظر: الكتاب: ج ٢/٢٧٦ — ج ٢/٢٦٧ .  
 ٨٤ — انظر: الكتاب: ج ٢/٤٥٥ .  
 ٨٦ — انظر: الكتاب: ج ١/١٢٠ ، ٢٧٨ .  
 ٨٧ — انظر: الكتاب: ج ١/٢٨٧ ، ٤٢٨ ، ٤٣٥ ، ج ٢/٧٧ ، ٤١١ ، ١٩٩ ، ج ٢/١٣٥ ، ٤٢٥ ، ٢٤٩ .  
 ٨٨ — انظر: الكتاب: ج ٢/٧٦ .  
 ٨٩ — انظر: الكتاب: ج ١/٤٣٢ .  
 ٩٠ — انظر: الكتاب: ج ٢/٤١٧ — ٤١٨ . ج ٢/٤٢٢ — ٤٢٤ .  
 ٩١ — انظر: الكتاب: ج ٢/٢١٢ — ٢١٤ ، ٢٣٨ .

جميعا .

• ويعتز سيبويه في كتابه برأي يونس ويعتدُّ به ، ويثق ، فهو يمود إليه ويسأله كلما أشكل عليه • يقول في باب ما ينتصب على التعظيم أو المدح : « (٩٢) وسمعنا بعض العرب يقول : ( الحمد لله ربَّ العالمين ) فسألت عنها يونس فزعم أنها عربية » ، ويقول في باب اختلاف العرب في الاسم المعروف الغالب إذا استفهت عنه بمن : « (٩٣) ، وسألت يونس عن : رأيت زيدَ بنَ عمرو ، فقال : أقول : من زيدَ بنَ عمرو ، لانه بمنزلة اسم واحد ؛ وهكذا ينبغي إذا كنت تقول : يا زيدَ بنَ عمرو ، وهذا زيدُ بنُ عمرو ، فتسقط التثوين » . ومواطن (٩٤) أسئلته له كثيرة .

وكان يتخذ من رواية يونس تصديقا لرواية نحوي آخر ؛ فهو يقول : « (٩٥) وزعم أبو الخطاب ان العرب الموثوق بهم يقولون : انا هذا ، وهذا انا . . . وحدثنا يونس أيضا تصديقا لقول ابي الخطاب . ان العرب تقول : هذا انت تقول كذا وكذا ، لم يرد بقوله : هذا انت ، ان يعرفه نفسه ، كأنه يريد أن يعلمه انه ليس غيره ، هذا محال ، ولكنه أراد ان ينبهه ، كأنه قال : الحاضر عندنا أنت ، والحاضر القائل كذا وكذا انت .

واحيانا قد لا يطمئن الى قول نحوي فيلجأ اليه ، فعنده الخبر اليقين . يقول : « (٩٦) وزعم عيسى بن عمر أن ناسا من العرب يقولون : إذن أفعُلُ ذلك ، في الجواب ؛ فأخبرت يونس بذلك ، فقال : لا تبعدن ذا ، ولم يكن ليروى إلا ما سمع ، جعلوها بمنزلة هل وبلى » .

٩٢ - الكتاب : ج ٢ / ٦٣ .

٩٣ - الكتاب : ج ٢ / ٤١٤ .

٩٤ - انظر : الكتاب : ج ٢ / ٢٣٦ ، ج ٣ / ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٤٤٢ .

٩٥ - الكتاب ٢ / ٢٥٤ - ٢٥٥ .

٩٦ - الكتاب ج ٢ / ١٦ .

ولم تتوقف الثقة بيونس الى هذا الحد ، وانما بلغت اتساعا بحيث  
 اتخذ سيوييه من قوله دعامة يؤيد بها مذهبه ؛ فقد رأى سيوييه رأيا ثم  
 بدا وكأنه يشعر بعدم الطمانينة الى ما رآه، فمدعمه بقول ليونس لتهدأ به  
 نفسه، قال : « (٩٧) وأما يا تميمُ أجمعون فأنت فيه بالخيار ، إن شئت  
 قلت : أجمعون . وإن شئت قلت : أجمعين، ولا ينتصب على أعني ، من  
 قبل أنه محال أن تقول أعني أجمعين ؛ وبذلك على أن أجمعين ينتصب  
 لأنه وصف لمنسوب قول يونس : المعنى في الرفع والنصب واحد » .

غير أن الطريقة التي كان سيوييه يذكر بها يونس وروايته تؤهم  
 وتُضلل ؛ إذ يصعب على الباحث بسببها أن يميز بين ما هو رواية محضة  
 ليونس، وما هو رواية ورأي في آن واحد . ولعل هذه الطريقة هي التي  
 أوتعت النحاة المتأخرين ، وجعلتهم ينظرون الى رواية يونس على أنها  
 رواية محضة، دون أن يلتفتوا أو ينتبهوا الى أنها في أحيان كثيرة رواية ورأي  
 معاً . وقد وقع السيرافي، أشهر شراح الكتاب، في حيرة حين اعترضه قول  
 سيوييه عن يونس في باب النذبة : « (٩٨) وأما يونس فيلحق الصفة  
 الالف فيقول : وأزيد الظريفاه ، واجمجتِي الشاميتيناه » «فقال (٩٩): نذبة  
 الصفة قول يونس والكوفيين ، والذي حكاه سيوييه عن يونس لست أدري  
 إلحاق علامة النذبة له من قياس يونس ، أو مما حكاه عن العرب فنحتج  
 له به » .

وهذا « (١٠٠) باب ما لا يعمل فيه ما قبله من الفعل الذي يتعدى الى  
 المفعول ولا غيره »، يتحدث فيه سيوييه عن المواطن التي لا يعمل فيها  
 المتعدي فيما بعده ، ويطنب في التفصيل والتوضيح، مبينا أن الاسم بعد هذا

٩٧ ... الكتاب ٢/ ١٨٤ .

٩٨ - الكتاب : ٢/ ٢٢٦ .

٩٩ - حاشية الكتاب : ٢/ ٢٢٦ .

١٠٠ - الكتاب ١/ ٢٢٥ .

الفعل قد يأتي مرفوعا وقد يأتي منصوبا ؛ كل ذلك في أسلوب يُوهم المرء أن كل ما يقوله من رنع ومن نصب هو له ، ولكنه يفاجئنا في نهاية الصفحة الرابعة بقوله « والرفع قول يونس » ، فلا يدري أهو الرفع الذي تحدث عنه في الفقرة التي ذكر يونس فيها ، أم الرفع في كل ما ورد في هذا الباب ! ومن يتمعن تماما في السياق العام للباب يجد أن الرفع كله ليونس ، إذ يبدو أن كل ما مثل سيبويه به يقوم على موقف يونس ، وإن كنت لا أجزم بأن كل ما جاء به سيبويه من أمثلة هو ليونس ، ولكن يكفي أن يفهم أن مذهب الرفع الذي قام عليه معظم الباب هو مذهب يونس .

وحسب فهمي للامر وتصوري إياه ، فانني لا أستطيع أن أفهم أن موقف يونس مما يرويه عن العرب كموقف أبي زيد مما يرويه ، أو موقف الأصمعي مثلا مما يرويه ؛ ذلك أن أبا زيد والأصمعي راويان للغة فحسب ، بينما يونس بن حبيب راوية نحوي، ولكنه نحوي قبل أن يكون راوية . فإذا ما روى فان ما يرويه لا يكون في معظمه إلا لبيان موقف نحوي ، أو استنباط موقف نحوي ، أو التذليل على موقف نحوي اتخذه ، وذلك على الرغم من أن سوق سيبويه لرواية يونس يوهم أنه يروي رواية دون أن يتخذ من هذه الرواية موقفا نحويا . فيونس تعد معظم حياته للدرس النحوي ، ولترسيخ القواعد النحوية في ضوء ما بين يديه من مادة لغوية ؛ فإذا قال سيبويه : « ( ١٠١ ) وحدثنا يونس أن بعض العرب يقول : يا أمّ لا تفعلني ، جعلوا هذه الهاء بمنزلة هاء طلحة إذا قالوا يا طلح أقبل . . » فكيف يكون هذا القول رواية ليونس ولا يكون رأيا وموقفا ؟ إنه يقيس في هذا القول ويعلل . وكيف يكون قول سيبويه عن يونس في باب النداء : « ( ١٠٢ ) ويقوي ذلك كله أن يونس زعم أنه سمع من العرب من يقول : يا فاسق الخبيث ، يدل على أن

١٠١ - الكتاب : ٢ / ٢١٢ .

١٠٢ - الكتاب : ٢ / ١٩٩ .

كل منادي مضموم هو معرفة » . كيف يكون هذا القول رواية ليونس ولا يكون رأياً يُلمح من سياق الكلام ؟ . بل كيف يكون رواية ما ينسب إلى يونس في قول سيبويه : « (١٠٣) وحدثنا بذلك يونس وعيسى جميعاً أن بعض العرب الموثوق بعربيته يقول : ما مررت بأحد إلا زيداً » وقوله : « (١٠٤) وحدثنا يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقولون : مالي إلا أبوك احد » . كيف يكون ذلك رواية ليونس مع أنه يروي هنا عن العرب الموثوق بهم ؛ فكيف يكون هذا القول رواية ولا يكون رأياً، ما دام صاحب القول نحوياً أولاً وقبل كل شيء ، وما دام يروي عن عرب موثوق بهم ؛ والنحوي يتصيد ما يرويه عن الموثوق بهم تصيداً ليبنى عليه رأياً وموقفاً نحوياً .

ومع أن يونس ذو شخصية واضحة بارزة تمثل في معظم صفحات الكتاب وتتلائم مع الخليل في مواضع عدة، إما روايةً — وهي في معظمها رأي كما أسلفت — وإما رأياً صريحاً صرح به سيبويه • إلا أن هذه الشخصية تكاد لا تبين بوضوح، أو أن هذه الشخصية لا تأخذ المكانة التي تستحقها في معظم كتب النحاة المتأخرين ، بينما تظهر فيها شخصية الأخصى والمازني والجري وابن السراج والزجاج بشكل أوضح وأبرز ، مع أن فرقاً كبيراً بين هذا وهؤلاء . لا بد أن يعترك التساؤل والاستغراب حين تجد أن يونس لا يذكر في شرح ابن عقيل مثلاً ، أو شرح المفصل ، أو حاشية الصبان ، أو شرح الأشموني، أو مغني اللبيب، أو شرح التصريح، أكثر من ثلاثين مرة في أكثرها إنصافاً له ، مع أنه ذُكر أكثر من مائتي مرة — كما أسلفت — في الكتاب • ولقد أوهمت هذه الكتب الدكتور شوقي ضيف أن يونس لم يكن له دور في علم النحو ، فاستخلص نتيجة بعد أن مر عليه مروراً خاطئاً، مقال : « (١٠٥) وعلى هذا النحو وقع يونس بعيداً عن تطور

١٠٢ — الكتاب ٢/٢١٩ .

١٠٤ — الكتاب ٢/٢٣٧ .

١٠٥ — المدارس النحوية ص ٢٩ .

نظرية النحو على شاكلة ما انتهت اليه في الكتاب عند سيويوه والنحاة الذين يوضعون بحق في تطورها، هم: ابن أبي اسحق، وعيسى بن عمر، ثم الخليل بن احمد، وسيويوه . فهو يرى ان ابن أبي اسحق وعيسى بن عمر اهم من يونس واكثر تأثيراً في مجال النحو ؛ ولو عاد الدكتور شوقي ضيف الى كتاب سيويوه، الذي يعدّه الثمرة الناضجة لتطور نظرية النحو، وتتبع مساهمة يونس فيها، لكان له موقف آخر مختلف ، ولكنه اكتفى بالعودة الى تلك الكتب المتأخرة التي طمست شخصية يونس واثره في النحو في حد بعيد .

ولعلّ عدم وضوح شخصية يونس وإنصافها وإعطائها ما تستحقه من حق ضائع يعود الى سببين، الأول : ما سلفته ، وهو الطريقة التي كان سيويوه يتبعها في ذكر يونس وروايته ، إذ كانت تؤدي الى اللبس والتضليل، بحيث يصعب على الباحث ان يميز بين ما هو رواية محضّة، وما هو رواية وراي ؛ فترك المتأخرون البحث في هذا الأمر ولجأوا الى الحل الأسهل، وهو ان ينظروا الى كل ما رواه يونس على أنه رواية محضّة ، وان ينظروا الى الراي الذي بني على ما رواه يونس على أنه رايلسيويوه .

والسبب الثاني : — وهو أشد وقعا — ان النحاة المتأخرين وزّعوا الكثير من آرائه التي صرح بها سيويوه على أولئك النحاة الذين وافقوه فيها ، فنسبوا بعضها الى سيويوه وبعضها الى البصريين تعميماً ، وبعضها الى الكوفيين .

فمما نسب الى سيويوه وهو ليونس والخليل، حكم الاسم المضاف في المنادى حينما يكرر، قال سيويوه : ٢ (١٠٦) هذا باب يكرر فيه الاسم في حال الاضافة ويكون الاول بمنزلة الآخر ، وذلك قولك : يا زيدَ زيدَ عمرو ، ويا زيدَ زيدَ أخينا ، ويا زيدَ زيدَنا . زعم الخليل، رحمه الله، ويونس ان هذا

كله سواء، وهي لغة للعرب جيدة . وهذا الرأي واضح انه ليونس والخليل  
وليس لسيبويه فيه إلا التوضيح ؛ وقد نُسبَ هذا الرأي الى سيبويه كل من  
ابن عقيل ( ١٠٧ ) ، والاشموني ( ١٠٨ ) ، والصبان ( ١٠٩ ) .

ومما نسب اليه ايضا رأي يونس والخليل في الضمير بعد لولا. قال  
سيبويه : « ( ١١٠ ) هذا باب ما يكون مضمراً فيه الاسم متحولاً عن حاله  
اذا اظهر بعده الاسم، وذلك لولاك ، ولولاي، اذا اضرمت الاسم فيه جراً ،  
واذا اظهرت رُفع ، ولو جاء علامة الاضمار على القياس لقلت : لولا انت،  
كما قال سبحانه : ( لولا انتم لكانا مؤمنين ) ولكنهم جعلوه مضمراً  
مجروراً ؛ والليل على ذلك ان الياء والكاف لا تكونان علامة مضمراً  
مرفوعاً . قال الشاعر يزيد بن الحكم :

وكم موطن لولاي طحت كماهوى      باجرامه من قلة النيق منهوى

وهذا قول الخليل رحمه الله ويونس « . والرأي في هذا الموضع  
صريح الصراحة كلها انه ليونس والخليل، وقد نسبه الى سيبويه كل من  
المبرد ( ١١٢ ) ، وابن عقيل ( ١١٣ ) ، وابن الشجري ( ١١٤ ) ، والرضي ( ١١٥ ) .  
ونسبه ابن هشام ( ١١٦ ) الى سيبويه والجمهور .

ومما نسب الى البصريين رأي يونس والخليل في ندبة النكرة ، قال

---

١٠٧ - انظر : شرح ابن عقيل ٢/٢١٢ .

١٠٨ - انظر : شرح الاشموني ٢/٥٤ .

١٠٩ - انظر : هاشية الصبان ٢/١٥٤ .

١١٠ - الكتاب ٢/٣٧٣ - ٣٧٤ .

١١١ - سيا - آية ٢١ .

١١٢ - انظر : الكامل في الألب ١/١٠٩٧ .

١١٣ - انظر : شرح ابن عقيل : ٢/٦ .

١١٤ - انظر : امالي ابن الشجري ١/١٨٠ .

١١٥ - انظر : شرح الكافية ٢/٢٠ .

١١٦ - انظر : مغني اللبيب هو ٣٦١ .

سيبويه : « ( ١١٧ ) هذا باب ما يجوز أن يندب ، وذلك قولك : وأرجلاه ،  
 ويا رُجلاه • وزعم الخليل رحمه الله ويونس أنه قبيح وأنه لا يقال « . وقد  
 نسب ابن الانباري ( ١١٨ ) هذا الرأي الى البصريين فطمس بذلك ذكر  
 يونس ، على الرغم من أنه واحد من البصريين كالخليل وسيبويه .  
 ومما نُسب الى الكوفيين رأي يونس في جواز عود الخافض وعدمه ،  
 اذا كان المخفوض ضميراً ؛ فقد نسبه الى الكوفيين كلٌّ من ابن عقيل ( ١١٩ )  
 وابن الانباري ( ١٢٠ ) ؛ أما الاثموني فنسبه الى يونس والكوفيــــــــــــين ،  
 قال : « ( ١٢١ )

وعود خافض لدى عطف على ضمير خفّض لازماً قد جُملاً  
 هي غير الضرورة ، وعليه جمهور البصريين . . قال الناظم : ( وليس )  
 عود الخافض ( عندي لازماً ) وفاقاً ليونس والأخفش والكوفيين . . . « .  
 ومما نسب اليهم أيضاً رأي يونس في الفصل بين المضاف والمضاف  
 اليه ، فقد نسبه اليهم كل من ابن الانباري ( ١٢٢ ) والأزهري ( ١٢٣ ) ، بينما  
 نسبه الرضي اليه ، قال : « ( ١٢٤ ) وانكر أكثر النحاة الفصل بالمفعول وغيره  
 في السعة ، ولا شك أن الفصل بينهما في الضرورة بالظرف ثابت مع قلته  
 وقبحه ؛ والفصل بغير الظرف في الشعر أقبح منه بالظرف ، وكذا الفصل  
 بالظرف في غير الشعر أقبح منه في الشعر ؛ وهو عند يونس قياس « .

١١٧ - الكتاب ٢ / ٢٢٧ .

١١٨ - انظر الانصاف ١ / ٣٦٢ .

١١٩ - انظر : شرح ابن عقيل ٢ / ١٨٧ .

١٢٠ - انظر : الانصاف ٢ / ٤٦٣ .

١٢١ - شرح الاثموني ٢ / ٤٢٩ .

١٢٢ - انظر : الانصاف ٢ / ٤٢٧ .

١٢٣ - انظر : شرح التصريح ٢ / ٥٧ .

١٢٤ - شرح الكافية ١ / ٢٩٣ .

ويكاد يونس لا يُذكَر الا بذكر آرائه التي خالفه سيبويه فيها ؛ من ذلك خلافهما في حكم جواب الشرط المضارع اذا دخلت همزة الاستفهام على الشرط في بدايته ؛ قال الزجاج : « ( ١٢٥ ) هذا باب ما جاء في التنزيل من ادخال همزة الاستفهام على الشرط والجزاء ؛ وهذه ايضا مسألة فيها اختلاف بين سيبويه ويونس ، وصورتها إن تأتني اتك ، بجزم الجواب عند سيبويه ، ويونس يقول : إن تأتني آتيك ، بالرفع ؛ ويقول هو في نية التقديم ، ويقدره : انيك ان تأتني . »

ومن ذلك مخالفة سيبويه يونس في أصل لبيك ( ١٢٦ ) ، وفي تصغير هند لوسمي بها مذكر ( ١٢٧ ) ، وفي : من زيذا واباه ، في النصب على الحكاية ( ١٢٨ ) ، والنسبة الى نحو ملهى ( ١٢٩ ) ، وابدال نون المثنى همزة نحو اضرياء الغلام ( ١٣٠ ) ، والنسبة الى مائه ( ١٣١ ) ، ورد المحذوف في التحقير ( ١٣٢ ) .

وكتاب سيبويه ، حسب فهمي اياه ، يفتازعه نحاة ثلاثة ، وهم الخليل ويونس وسيبويه ، مرتبين — في رأيي — حسب مساهمتهم في هذا الكتاب ؛ ولكن سيبويه بدت شخصيته النحوية وكأنها تفوق شخصية يونس ، بل كادت تبدو متفوقة على شخصية الخليل ، وقد ناقشتها فعلا في كتب النحاة المتأخرين ؛ ولعل مرد ذلك الى تأليف سيبويه الكتاب بعد ان للم شتات

١٢٥ — اعراب القرآن ٣/٧٨٢ .

١٢٦ — انظر : خزنة الادب ٢/٩٣ ، شرح التصريح ٢/٢٨ . والكتاب ١/٣٥١ .

١٢٧ — انظر : الخصائص ١/١٥٧ .

١٢٨ — انظر : الكتاب ٢/٤١٣ ، وشرح الاشموني ٣/٦٤٢ .

١٢٩ — انظر : شرح الاشموني ٣/٧٢٧ .

١٣٠ — انظر : حاشية الصبان ٢/٢٢٥ .

١٣١ — انظر : الخصائص ٢/١٠٦ .

١٣٢ — انظر : المصدر نفسه ٢/٧١ — ٧٢ .

القواعد النحوية وبؤبها ودلّل عليها . ولو قدّر ليونس — واعتذر لاستعمال  
لو — أن يؤلف الكتاب، وأن يتنازعه الخليل ويونس وسيبويه لتفوقت  
شخصيته على شخصية سيبويه تفوقا واضحا في الكتاب وغيره، ولكانت  
وضعت بجدارة في المكانة التي تستحقها . من غير أن أكون في هذا القول  
متعصبا ليونس أو معطيه مكانة أكثر من التي له ، كبعض الباحثين الذين  
يقفون في أحيان كثيرة موقف المدافع ، أو المتعصب للشخصية التي يبحثون  
فيها، وكان الأمر يُسمّم أو يتعلّق بهم . ومنطلقي في موقفي هذا هو العطاء  
العلمي الثرّ الذي بين يديّ ليونس من خلال الكتاب .

ولم يكن ليونس أثر في سيبويه وكتابه بصفة خاصة ، والمدرسة  
البصرية بصفة عامة فحسب ، وإنما كان له أثر كبير أيضا في نشأة المدرسة  
الكوفية التي اتخذت من اتجاهه مساراً لها وهاديا .

١- فقد ساد المدرسة البصرية زمن يونس اتجاهان في النحو :

الاتجاه الأول : اتجاه متشدد في القياس والسماع عن العرب، ويمثله  
ابن أبي اسحق ، وتلميذه عيسى بن عمر ؛ فكان الأول : « ( ١٣٣ ) أشد  
تجريدا للقياس » وكان يطعن على العرب ، ولا يتحرّج من أن يقول للشاعر  
العربي المشهور بالفصاحة : لحن ؛ فقد لحن ( ١٣٤ ) الفرزدق في قوله :  
« مولى مواليا » في بيته :

نلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مويبا

وقال له : كان يجب أن تقول : مولى موال .

وتبعه الثاني الذي كان لا يتحرّج من الطعن ( ١٣٥ ) على العرب

---

١٣٢ — طبقات فحول الشعراء ، ص ٣٠ ( دار المعارف ١٩٥٢ م ) .

١٣٤ — نزهة الألباء ص ٢٧ .

١٣٥ — طبقات النحويين واللغويين ص ٢٢ .

ايضا ، فكان يقول (١٣٦) : اساء النابغة في قوله :

فَبِتُّ كَانِي سَاوَرْتَنِي ضُئِيلَةً      من الرُقش في انيابها السُّمُّ نَاعِقٌ

والوجه الصواب عنده : السم ناقعا .

اما الاتجاه الثاني فهو اتجاه متساهل في القياس ، معظّم لما يرد عن العرب ؛ ويمثله أبو عمرو بن العلاء ، وتلميذه يونس بن حبيب . وكان الأول « ( ١٣٧ ) اوسع علما بكلام العرب ولغاتها وغريبها » ، وكان (١٣٨) « اشد تسليماً للعرب » ، وكان يجوّز الأوجه المختلفة التي ترد عنهم \* جاءه عيسى ابن عمر (١٣٩) « فقال له : يا ابا عمر : ما شيء بلغني أنك تجيزه ؟ قال : وما هو ؟ قال : بلغني أنك تجيز « ليس الطيب إلا المسك » فقال أبو عمرو : نعمت يا ابا عمرو وأولج الناس ، ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب ، وليس في الأرض تميمي الا وهو يرفع » .

وكان ابو عمرو ينشد قول ذي الرمة (١٤٠) :

وظاهِرٌ لها من يابِسِ الشُّخْتِ

فقيل له : انشدتنا بانس ، فقال : يابس بانس واحد ، هذا شعمر

ليست عليه مضايقة .

---

١٣٦ - طبقات فحول الشعراء ، ص ١٦ ، ( دار المعارف ١٩٥٢ م ) .

١٣٧ - طبقات فحول الشعراء ، ص ١٤ ( دار المعارف ١٩٥٢ م ) .

١٣٨ - نزهة الالباء ، ص ٢٧ .

١٣٩ - طبقات التحويين واللغويين ، ص ٢٨ . وانظر : الاشباه والنظائر ج ٢/٧٢ .

١٤٠ - المحاسب ج ١/٢٩٧ .

أما يونس فسار مساره إذ كان يجلّه ويحترم رأيه ويقول : (١٤١) «لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله كله في شيء واحد كان ينبغي لقول أبي عمرو ابن العلاء في العربية أن يؤخذ كله ، ولكن ليس أحد الا وانت آخذ من قوله وتارك » . فافتضى أثره في عدم الطعن على العرب ؛ فهذا ابن أبي اسحق (١٤١) يسمع قول الفرزدق في مدحه يزيد بن عبد الملك :

مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور  
 على عائمنا بلقنى وأرجلنا على زواحف تزجى مخها رير  
 فيقول له : (١٤٢) « أسأت انما هي « رير » ؛ وكذلك قياس النحو في هذا الموضع » . وقيل انه قال له : (١٤٣) « أسأت ، موضعها رفع ، وان رفعت أقويت » . أما يونس فلم يكتف بتجويز قول الفرزدق وانما ذهب الى استجادته فقال : (١٤٤) « وهذا جيد » . او استحسنه فقال : « (١٤٥) والذي قال حسن جائز » .

ويسمع أبو عمرو ويونس قول الفرزدق :

وعضّ زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجرف  
 فيفتان حائرين امام الوجه الذي رفع الفرزدق عن أساسه «مجرف»  
 من غير أن يفكرا بتخطئته أو الطعن عليه ، ويحاولان أن يجدا تخریجاً

١٤١ - الشعر والشعراء ( المقنمة ) . والمبنيان في ديوان الفرزدق ج ٢١٢/١ .  
 ١٤٢ - طبقات فحول الشعراء ؛ ص ١٧ ( مطبعة المدني - القاهرة ) . طبقات النهويين واللغويين ص ٢٢ .

١٤٢ - خزائن الادب ج ٢٣٨/١ .  
 ١٤٤ - المصدر السابق : ٢٣٨/١ وقد اورد هذا الكتاب ( ٢٢٩/١ ) ان علي بن حمزة البصري كان يقول في كتاب التشبيهات على اغلاط الرواة : والخفض في « رير » جيد ، وتقديره على زواحف رير مخها تزجى .  
 ١٤٥ - طبقات فحول الشعراء ١٧/١ ( مطبعة المدني - القاهرة ) .

فلم يعثرنا ، فيقول أبو عمرو : ( ١٤٦ ) « لا أعرف لها وجها ، وكان يونس لا يعرف لها وجها ، قلت ليونس : لعل الفرزدق قالها على النصب ولم يأسه ، فقال : لا ، كان ينشدها على الرفع وأنشد فيها رؤية على الرفع » .

ولما جاء الكسائي الى البصرة تتلمذ على أبي عمرو بن العلاء ، وتأثر به تأثرا ملحوظا، ويقال انه بقي ملازما له ( ١٤٧ ) « نحو سبع عشرة سنة » ، وتتلمذ بعد ذلك على يونس بن حبيب تلميذ أبي عمرو ، وكان يونس يثني عليه في مجلسه بالبصرة ويشجعه ، فقد سئل ( ١٤٨ ) بحضرته عن توجيه رفع الخمر في بيت الفرزدق : ( ١٤٩ )

غداة اخلت لابن اصرم طعنة  
حصين عبيطات السدائف والخمر  
فقيل للكسائي : على أي شيء رفعت ؟ فقال : اضمرت فعلا ، كانه  
« وحلت لي الخمر » ، فقال يونس : ما احسن والله ما وجهته — وفي رواية  
اخرى ( ١٥٠ ) انه قال : أشهد أن الذين رأسوك رأسوك على حق — غير  
اني سمعت الفرزدق ينشده :

غداة اخلت لابن اصرم ضربة  
حصين عبيطات السدائف والخمر  
جعل الفاعل مفعولا ، كما قال الحطيئة ( ١٥١ ) :

فلما خشيت الهون والعير ممتك  
على رغبة ما امسك الحبل حافر  
والتصيدة على الرفع ، جعل الفاعل مفعولا ، فقال الكسائي : هذا

---

١٤٦ — المصدر نفسه ج ١/٢١ . وانظر : الموشح ص ٩٢ والبيت : ديوان الفرزدق ج ٢/٢٦ .

١٤٧ — الاقتراح ، ص ٨٥ .

١٤٨ — مجالس العلماء : مجلس ١٠ .

١٤٩ — ديوان الفرزدق ج ١/٢٥٤ .

١٥٠ — تاريخ بغداد ج ١١/٤١٠ .

١٥١ — ديوان الحطيئة ص ١٨٢ ( تحقيق نعمان طه الطبعة الاولى سنة ١٩٥٨ ) .

على هذا وجه .

✓ وكان يونس يتجنب تخطئة الكسائي ، ويردّ قوله رداً لطيفاً جميلاً ؛  
فها هو يسأل (١٥٢) في مجلسه إن أولق : ما مثاله من الفعل ؟ فيقول :  
أنعل، فيقول يونس له : استحيت لك يا شيخ ! والظاهر عندنا من أمر أولق  
أنه مُوعَلٌ من قولهم : ألق الرجل فهو مألوق . أما ابن أبي عيينة الذي سأله  
هذا السؤال فيسارع (١٥٣) بعد الإجابة الى القول : خطأ والله .

ليس هذا فحسب، وإنما كان يونس يفضب الغضب كله إذا ما أحس  
أن أحداً في مجلسه حاول أن يستثيره أو يعمد الى تخطئته، ويقول : (١٥٤)  
تؤذون جليسا ، ومؤدب ولد أمير المؤمنين .

وقد توطدت العلاقة بين يونس والكسائي ، وتعمقت بعد هذا  
السلوك الذي كان له أجل الأثر في نفس الكسائي، ولا سيما بعد المسائل  
النحوية التي جرت بينهما وأثر له يونس فيها ، وكاناه على ذلك بأن صدّره  
موضعه .

ولم يكن الكسائي الكوفي الوحيد الذي درس على يونس ، وإنما  
درس عليه الفراء أيضاً، وكان الكوفيون — كما يبدو من رواية أبي الطيب  
اللغوي — يفتخرون بأنه أخذ عن يونس فأكثر، قال : (١٥٥) « وأهل الكوفة  
يدّعون أنه استكثر منه ، وأهل البصرة يدفعون ذلك » وهذه الرواية إن  
دلّت على شيء فأنما تدلّ على مدى المكانة التي كان يونس يمثلها في ذهن  
الكوفيين وفكرهم .

---

١٥٢ — الخصائص ج ٢/٢٩١ .

١٥٣ — مجالس العلماء مجلس ١١٩ .

١٥٤ — المصدر نفسه مجلس ١١٤ .

١٥٥ — مراتب التحويين ص ٨٦ .

وقد كان عقل الكسائي متنبها ويقظا لكل ما كان يسمعه عن يونس من أجل أن يأخذ به ويقتني اثره ؛ فهذا يونس بن حبيب يسأل ( ١٥٦ ) والكسائي حاضر : لِمَ صارت « حتى » تنصب الافعال المستقبلية ؟ فيقول : هكذا خلقت . ويسأل ( ١٥٧ ) الكسائي فيما بعد في مجلس يونس عن قولهم : لاضر بن أيهم يقوم ، لم لا يقال : أيهم ، فيقول أيُّ ، هكذا خلقت . كل ذلك دفع الكسائي والكوفيين بعده الى أن يتبعوا الاتجاه النحوي الثاني الذي سار فيه أبو عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب وهو الاتجاه الذي يعظم لغات العرب ويقبل بتجويزها مهما تباعدت ، من غير طعن أو تلحين ؛ أما البصريون فواصلوا السير على الاتجاه الاول ، اتجاه ابن أبي اسحق وعيسى بن عمر وهو الاتجاه الذي اتسم بالتشدد في القياس وتأويل ما يخالفه ، أو تشذيده ، أو تخطئته اذا لم يكن بديل للتخطئة .

وقد اتبع الكوفيون يونس في آراء كثيرة خالف فيها البصريين ، منها تجويزه ( ١٥٨ ) أن تلقى علامة الندبة على الصفة نحو قولك « وأزهد الظريفاه » بينما ذهب الخليل ( ١٥٩ ) الى أن هذا خطأ .

وتبعوه في جواز ( ١٦٠ ) ادخال نون التوكيد الخفيفة على فعل الاثنين وجماعة النسوة ، نحو « افعلان » و « افعلنان » بالنون الخفيفة ؛ وايد ابن جني هذا المذهب قائلا : « وليس ذلك . . . بالممتع في الحس ، وان كان

١٥٦ — طبقات النحويين والكوفيين ص ١٧٧ .

١٥٧ — مجالس العلماء مجلس ١١٤ . وانظر : الخصائص ج ٢/٢٩٢ .  
واوضح المسالك ج ١/١٠٩ .

١٥٨ — انظر : الانصاف مسألة ٥٢ ، شرح الفصل ج ٢/١٤ ، حاشية الصبان ج ٢/١٦٩  
والرأي في الاصول ج ١/٤٣٦ منسوب الى يونس وحده .

١٥٩ — الكتاب ١/٢٢٦ .

١٦٠ — انظر الانصاف مسألة ٩٤ . شرح الاثموني ج ٢/٥٠٢ . شرح التصريح ج ٢/٢٠٧ .

غيره أسوغ فيه منه من قَبَل أن الالف اذا أُشْبِع مَدَّها صار ذلك كالحركة فيها . أما البصريون فذهبوا (١٦١) الى أنه لا يجوز ادخالها في هذين الموضعين .

وتبعوه في عدم (١٦٢) ضرورة عود الخافض .

وتبعوه في أن « أيّ » (١٦٣) في نحو : لأضرين أيُّهم أفضل ، معرب ، ولكنه يقول إنه مرفوع بالابتداء و « أفضل » خبره ، والفعل معلق عن العمل . أما هم فيقولون إنه مفعول به منصوب ، بينما يرى سيبويه أنه مبني على الضم .

وتبعوه في أن الذي (١٦٤) يقع مصدرا ، كما ورد في قوله تعالى : (١٦٥) ( وخضتم كالذي خاضوا ) أي خاضوا فيه ، وقوله (١٦٦) ( ذلك الذي يبشر عباده ) أي يبشر الله به عباده .

وتبعوه في أن « وحده » (١٦٧) منصوبة على الظرف ؛ قال سيبويه (١٦٨) وزعم يونس أن وحده بمنزلة عنده .

✓ وبناء على كل ما مضى من أقوال وأدلة وآراء حول اثر يونس في الكسائي والكوفيين فانني استطيع القول إن تأثير يونس في هؤلاء كان

---

١٦١ - انظر : الانصاف مسألة ٩٤ .

١٦٢ - انظر : شرح التصريح ج ١٥١/٢ ، شرح الاشموني ج ٤٢٩/٢ .

١٦٣ - انظر الكتاب ج ٢٩٨/٢ - ٤٠١ . والانصاف مسألة ١٠٢ ، وجمع الهوا مع ج ١ / ٣١٢ .

١٦٤ - مغني اللبيب ص ٧٠٩ ، وانظر نسبة الراي الى يونس في : اعراب القرآن ج ١/٣١٥ .

١٦٥ - التوبة آية ٦٩ .

١٦٦ - الشورى آية ٢٣ .

١٦٧ - حاشية الشيخ ياسين في شرح التصريح ج ٢/١ .

١٦٨ - الكتاب ج ١/٣٧٧ .

واضحاً شديد الوضوح وبارزاً ، بل وبناء على كل ما مضى يخيل الي أنني  
استطيع القول ان ابن حبيب النحوي كان مؤسساً بارزاً من مؤسسي  
المدرسة الكوفية، أو على الأقل كان مساهماً مساهمة فعالة في نشأة هذه  
المدرسة ، فهو الذي فتح لها مجال السير في الاتجاه المذكور الذي كان ينتجه  
مع استاذة ، من غير ان يتعارض هذا القول مع بصريته ؛ وبالتالي فلا  
استطيع ان أعده ممن وضعوا النواة الاولى للمدرسة البغدادية، كما ادعى  
(١٦٦) الدكتور أحمد مكي الأنصاري \* ولعل قرب يونس من الكوفيين  
هو الذي دفع الأنصاري الى ذلك . فالتقاء يونس بالكوفيين وأثره فيهم كان  
قيل ان نشأة المدرسة البغدادية وتقف على قدميها ؛ ونواة المدرسة  
البغدادية لا يمكن ان تكون الا بعد وجود المدرستين البصرية والكوفية، وهي  
المعروفة بئها اثبتت (١٧٠) من تمازج المدرستين ، وأنها مدرسة تقوم على  
الانتخاب والتوفيق ، والنفاذ الى بعض ما يمكن النفاذ اليه مسن آراء  
جديدة .

د. محمود حسني محمود

---

١٦٦ - تيو زكريا القراء ص ٣٦٦ .

١٧٠ - المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي ص ١١٦ .

## المصادر

ابن الأثير

١ - الإصناف - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة ط الرابعة

. ١٩٦١

٢ - نزعة الإلهاة - تحقيق د. ابراهيم السامرائي . الطبعة الثانية . بغداد . ١٩٧٠ .

ابن جني

٣ - الخصائص - تحقيق محمد علي النجار . دار الهدى . الطبعة الثانية . بيروت .

٤ - المحتسب - تحقيق علي النجدي ناصف . القاهرة ١٣٨٦ هـ .

ابن خلكان

٥ - وفيات الأعيان - تحقيق د. احسان عباس . دار صادر - بيروت .

ابن السراج

٦ - الاصول في النحو - تحقيق د. عبد السلام الفنلي . مطبعة الاعظمي ، بغداد

. ١٩٧٣ م .

ابن الشجري

٧ - امالي ابن الشجري . حيدرآباد . الطبعة الاولى ١٣٤٩ هـ .

ابن عقيل

٨ - شرح ابن عقيل . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة ، ط

الثانية عشرة ١٩٦١ م .

ابن العماد

٩ - شذرات الذهب - بيروت .

ابن قتيبة

١٠ - الشعر والشعراء .

ابن النديم

١١ - الفهرست . مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

ابن هشام

١٢ - اوضح المسالك . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . دار احياء التراث

العربي . بيروت . الطبعة الخامسة ١٩٦٦ م .

١٢ - مخي اللبيب . تحقيق د. مازن مبارك . مراجعة الاستاذ سعيد الافغاني بيروت .

الطبعة الثانية ١٩٧٢ .

ابن يميثي

١٤ - شرح المفصل . المطبعة النهرية بصر .

ابو الجيب اللغوي

١٥ - مراتب النحويين - تحقيق أبو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٩٧٤ .

ابو المداء

١٦ - البداية والنهاية - مطبعة السماعة بصر .

الازهرري

١٧ - شرح التصريح على التوضيح . دار احياء الكتب العربية .

## الإسموني

- ١٨ — شرح الإسموني — تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة السعدانة  
بمصر . الطبعة الأولى ١٩٥٥ .

## الإعشى

- ١٩ — ديوان الإعشى — تحقيق د. محمد حسين . المطبعة التمهوية .

## الانصاري : د. أحمد مكي الانصاري

- ٢٠ — أبو زكريا الفراء . القاهرة ١٩٦٤ .

## بروكلمان

- ٢١ — تاريخ الأدب العربي . دار المعارف بمصر . الطبعة الثانية .

## البغدادي

- ٢٢ — خزائن الأدب . تحقيق عبد السلام هارون . مطبعة الحلبي .  
٢٣ — تاريخ بغداد . مطبعة السعدانة ١٩٣١ .

## الجامع

- ٢٤ — الحيوان — تحقيق عبد السلام هارون . مطبعة الحلبي .  
٢٥ — البيان والتبيين — تحقيق فوزي عطوي . بيروت .

## الجمحي

- ٢٦ — طبقات فحول الشعراء — تحقيق محمود محمد شاكر . مطبعة المدني . القاهرة  
١٩٧٤ ، دار المعارف ١٩٥٢ م .

الحديث . خبيجة الحديث

٢٧ — كتاب سيويه وشروحه . بغداد . الطبعة الاولى ١٩٦٧ .

حسني . د. محمود حسني

٢٨ — انكسرة البغدادية في تاريخ البحر العربي . رسالة دكتوراه مخطوطة في مكتبة

الجامعة الاردنية قسم المخطوطات وفي مكتبة جامعة القاهرة — كلية الاداب

ضمن الرسائل الجامعية .

الحطيفة

٢٩ — ديوان الحطيفة — تحقيق د. نعمان طه . الطبعة الاولى ١٩٥٨ .

الحوي — يقوت الحوي

٣٠ — معجم الالبناء — مطبعة دار المنون . الطبعة الاخيرة .

٣١ — معجم الجادان . بيروت ١٩٥٦ .

الداودي . الحافظ شمس الدين

٣٢ — طبقات المصريين — تحقيق علي محمد عمر . مطبعة الاستقلال الكبرى . الطبعة

الاولى ١٩٧٢ م .

الرضي

٣٣ — شرح الكافية . الشركة الصحافية العثمانية . ١٣١٠ هـ .

الزيدي

٣٤ — طبقات التحويين واللفويين . تحقيق ابو الفضل ابراهيم . دار المعارف بمصر .

الرجاج

٣٥ — اعراب القرآن — تحقيق ابراهيم الايباري . القاهرة ١٩٦٢ م .

## الزجاجي

- ٣٦ - مجالس العلماء - تحقيق عبد السلام هارون، الكويت ١٩٦٢ م .

## الزمخشري

٣٧ - المفصل - دار الجيل - الطبعة الثانية .

## سيوييه

- ٣٨ - الكتاب - تحقيق عبد السلام هارون

ج ١ . دار القلم ١٩٦٦ م .

ج ٢ . دار الكاتب العربي القاهرة ١٩٦٨ م .

ج ٣ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ م .

ج ٤ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ م .

## السراني

- ٣٩ - أخبار النحويين البصريين - تحقيق طه الزيني . الطبعة الاولى ١٩٥٥ م .

## السيوطي

٤٠ - الاشباه والنظائر - تحقيق طه سعد . طبعة جديدة ١٩٧٥ م .

٤١ - الاقتراح في اصول النحو . حيدر آباد . الطبعة الثانية ١٣٥٩ هـ .

٤٢ - بنية الوعاة . تحقيق أبو الفضل إبراهيم . ط الاولى ١٩٦٥ .

٤٣ - معجم الهوامع - تحقيق عبد السلام هارون . الكويت ١٩٧٥ م .

## الصبان

٤٤ - حاشية الصبان . دار احياء الكتب العربية .

ضيف . د. شوقي ضيف

٤٥ - المدارس النحوية : دار المازن بمصر ١٩٦٨ م .

عزام . عبد الرحمن عزام

٤٦ - بطل الابطال . مطبعة الحلبي . الطبعة الاولى ١٩٢٨ م .

عيد . د. محمد عيد

٤٧ - الرواية والاستشهاد باللفة . القاهرة ١٩٧٢ م .

الفرزدق

٤٨ - ديوان الفرزدق . دار صادر : بيروت ١٩٦٠ م .

القنطري

٤٩ - انباه الرواة - تحقيق أبو الفضل إبراهيم . مطبعة دار الكتب : القاهرة ١٩٧٢ م .

المبرد

٥٠ - الكامل في الادب - تحقيق د. زكي مبارك : مطبعة الحلبي الطبعة الاولى ١٩٢٧ م .

المزنياني

٥١ - الموشح . المطبعة السلفية . القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ .

ناصر . علي التجدي ناصر

٥٢ - سيويه امام النخاعة .

ياسين

٥٣ - حاشية الشيخ ياسين ( ضمن شرح التصريح للزهري - دار احياء الكتب

العربية ) .